تصنعه المعركة ، لا يلبث ان يتابع في نشـــيد « يوميات من عرس الدم » . فالعرش الذي يحز ورید الشعب ، يحكم بالاعدام على نفســه . وجثث الالاف الذين يسقطون يوميا تدل على أن هذا الشعب لا يموت .

« في اليوم التاسع
أصرخ في وجه الدنيـا
هذا شعب ذو سبعة ارواح » .

ويصل توفيق زياد في « نماذج عادية من شعب غير عادي » الى قدرة مذهلة على استيعاب الروح الشعبية . فهو في خنادق المقاتلين في شـوارع عمان ومخيماتها ، يرصد مشاعرهم ويذوب صوته في افكارهم ومشاعرهم المباشرة ، لكنه في الوقت نفسه يعود بهم الى التراث الثوري الفلسطيني ، فالمناضل الذي يموت اليوم هو ابن المقاتل الذي مات في ثورة ١٩٣٦ مشنوقا كما تخبرنا القصيدة العامية :

« لا تظن دمعي خوف
دمعي على اوطاني
على كمشة زغاليل
في البيت جوعاني »

وهي ابيات يضمنها زياد بشكل رائع في قصيدته هذه حتى لنخال انها جزء لا يتجزأ من مشاعر المقاتلين الذين سقطوا في ايلول الاسود . وزياد في تصويره لهذه المعارك يظل شاعرا بصوته الخاص، فهو بعيد عن ساحات عمان . لذلك يرفع صوته مع اصوات عرب الارض المحتلة محييا المقاتلين والمقاتلات :

« اه لو اقدر ان اجعل نفسي
في كفك
رشاشا للثورة »

وهو حـين يتحدث عن المقاتلـين ، يضمهم الى الارض ، الى جدلية الانسان ــ الارض . فمسعود الشيبان يظهر وكأنه شجـرة خارجـة من رحـم الارض . انه :

« قطعة ارض فذت وانفصلت
واتخذت شكل مقاتل »

وحين يكتب عن العدو في « كلمات من خصم غـير مقطوع الرأس لكنه بروح واحـدة » فان التفاؤل بالنصر ، لا يأتي على حساب التقليل من قـوة العدو ، لكن حتميـة انتصار الشعوب علـى مستغليها تدفعه ليقول :

« يا أردن الشعب الصامد
في الزرقاء وعمان واربد
ما هو آت آت
والآتي سيبدد كل الظلمات »

توفيق زياد في قصائده الاربع هـذه يريد شيئـا واحـدا : الاندماج الكامـل بحركة الجماهـير الواقعية . والشعر هو تهليلة ، نشيد جماعي ، صوت شامل ، الشعر هو سلاح للمقاتلين ، هـو صيحة للحرب ، الشاعر هنا هو لحن موسيقي يمشي في مواكب المقاتلين . يغني احلامهم وآلامهم. يقف معهم في الخندق ويرفع صوته عاريا . لكنـه في الوقت نفسه يعود في النشيد الاخير « اسئلة لا بد منها » الى محاولة استخلاص الـدروس . والدروس عفوية لكنها في الوقـت نفسه حـارة الصوت . فعلى الزعماء ان يعرفوا « ان علـى الثورة ان تبقى يقظى » وهو يدعو الى مزيد مـن الحقد الثوري .

« هل يعرف بعض الزعماء
أن على مشنقة الثورة
ان تصنع
من حبل لا ينقطع
من ثقل الخصم المشنوق
لما يدخل في العقدة رأسه »

عمان في ايلول : تترافق في مجموعـة زياد مـع **مئة سنة على كومونة باريس** : القصيدة الاولـى تحمل سمات العفوية والرؤيا الشعبية النافذة . انها محاولة لتاريخ حدث في ضمير الجماهـير . من هنا تأتي لغتها المبسطة والسهلة وعودتها الى القصائد العامية الشعبية ، وتركيزها على مشاعر الافراد . وتوفيق زياد لا يضيع في التفاصيل ، انه يلتقطها التقاطا محولا اياها الى لوحة متكاملة . وهذه اللوحة ليست مغلقة . فالرمادي القاتـم الذي يظهر في تصوير المذبحة ، لا يلبث ان يصطبغ بالاحمر ثم يتحول الـى صوت واثق من النصر ، متعلم من الهزيمة دروس النصر . توفيق زيـاد يحاول عبر عمله هذا ، ان يتابع بحثه عن الفـن